جهود علماء شبه القارة فی مقاومة الحرکة القادیانیة

*الدکتور عبد الکبیر محسن

**سلطان محمود خان

Abstract

In this article ,the efforts rendered by the arabic poets against Qadianiat has been taken into the consideration .in this respect a lot of scholars have tried thier level best to eleminate this "Fitna"with their pen power.

من الفرق الضالة التی ظهرت بالهند فی الزمن المتأخر فرقة القادیانیة وهی نسبة إلی قادیان . قریة فی الهند.مولد زعیمهم ومسکنه ومدفنه ، تنبأ بالکذب وأضل بذلک ناسا کثیرا وبذا سبق نظراء ه السالفین لأن فتنته أشد ضلالة وأعظم امتدادا وأطول مدة وکان هذا المتنبئ یعد من أجلة العلماء قبل ادعائه النبوة أول ما بدا من أمره أنه ذو حظ ونصیب من العلوم الدینیة وعرف بقوة الحجة وشدة الاستدلال فی المناظرات التی کان یخوضها ضد الطوائف الأخری واشتهر بقدرته الفائقة فیها وأسلوبه الناقض لأدلة مخالفیه فحَلَّ به مکانة محمودة لدی عامة المسلمین وکسب ثقتهم وازداد تشوف المسلمین إلیه لما ألف عدیدا من الکتب عن الإسلام ونبیه مثل (براهین احمدیه) سنة ۱۸۸۰ م واستمر فی دأبه فی المناظرات حتی طلعت سنة ۱۸۹۱م فجاء منه أول خطر جعل البعض من العلماء یحتاط فی النظر إلیه إذ ادعی أنه مجدد هذه الأمة وسرعان ما استبدل منه هذا الادعاء بدعوی أخری وهی أنه هو المسیح الموعود والمهدی اللذآن بشر النبی ﷺ بوجودهما فی آخر الزمن فبادر نخبة من العلماء إلی الرد علیه وتنبیه القوم علی کذبه وضلاله مرت سنوات والمرزا غلام احمد القادیانی مشغول بإشاعة فتاویه ودعاویه وکراماته المزعومة وفتوحاته الجدلیة الحقیقیة و المفروضة إذ فوجئ الجمیع. المحسنون به الظن و المسیئون. بادعائه النبوة وإبطاله الجهاد فی شبه القارة واعتباره دار الإسلام وإلزام الجمیع إطاعة

*أستاذ اللغة العربیة بکلیة أصغر مال الحکومیة . راولبندی

**محاضر فی قسم الحدیث والسیرة، اسلامیه یونیورسٹی آف بهاولپور

الاحتلال الإنجليزى وبهذا زلزل الهند من جذرها فنهض جمٌّ من العلماء يعارضونه وأفتى كبراؤهم بكفره وكفر من يصدقه ويتبعه وهؤلاء لم يألوا جهدا فى سبيل ذلک ونشطوا فى ذلک الجهاد بكل ما استطاعوا من تصنيف كتاب أو تحديه للمناظرة أو قرض الشعر فى معارضته والرد على أقاويليه

وبخصوص الأمر الأخير تناثرت أشعار تتحدث عن ختم النبوة والرسالة على سيدنا محمد ﷺ وأنه آخِر النبيين قرضها شعراء المسلمين عربا وعجما وقد أسهم فيه بعض شعراء العربية من أهل شبه القارة الهندية و نظموا قصائد شعرية لإبطال دعواه الكاذبة ، فمن هؤلاء : الشيخ العلامة أنور شاه كشميرى الذى كان من أجلة العلماء وكان شيخ الحديث بدار العلوم ديوبند وله بهذا الصدد قصيدة تقع فى واحد وستين بيتا استهلها بتنبية المسلمين على الحذر من هذا المتنبئ الجديد وحثهم على الكفاح ضده والقصيدة من أولها تبدو كأنما تنفخ فى صور أو تدک الجبال وتزلزل الأرض لأن الشاعر من كبار شيوخ العلوم الدينية ، أظهر قلقه تجاه هذا الأمر فأخذ بمناكب القوم لئلا يقعوا فى هذه الفتنة فيقول :

ألا يا عباد الله قُوْمُوْا وقَوِّمُوْا خُطُوْبٌ أَلَمَّتْ ما لَهُنَّ يدان

وقد كان ينقض الهدى ومنارة وزُحزِح خير ما لذلک تدان

يُسبُّ رسولٌ مِنْ أولى العزم فيكم تَكَادُ السماء والأرض تنفطران

ومن نقده على المتنبئ :

فَشَانِئُ شأنِ الأنبياءِ مُكَفَّرٌ ومَنْ شَكَّ قُلْ هذا لأول ثان

وأكفَرُ منه مَنْ تَنَبَّأَ كاذبا وكان انتهت ما أمكنت بمكان (١)

وتستمر القصيدة فى الرد عليه باستدلال من الروايات المنقولة وما جرىٰ لمسيلمة المتنبئ الكذاب وأمثاله ومالک بن نويرة الذى قتله سيدنا خالد بن وليد بلفظه كلمة أوحت بتوهين ذات الرسول المقدس عليه السلام (٢)

ومنهم الشيخ محمد موسى بازى :

فی قصیدته : (الحسنی فی أسماء النبی العظمی) رد علی القادیانی بعدة أبیات منها ، فیقول مثلا

وخاتم أنبیاء الله طُرّا وخاتمهم فتبَّ المنکرونا

فلا یرجو النبوة بعد هذا سوی مَن کان دجالا لعینا

فلَعْنَةُ رَبِّنَا أعدادَ رَمْلٍ علی الأتباع والمتنبینا (۳)

ومنهم الشیخ فیض الحسن الجهلمی :

الذی ساهم فی الجهاد الشعری المعارض للفتنة القادیانیة وله قصیدة بصنعة الإهمال (۴) عارض بها قصیدة المرزا الکاذب التی کان یسمیها بالقصیدة الإعجازیة وتحدی أهل الإسلام بإتیان مثلها مع أن القصیدة کانت فی غایة الرکاکة ولم تکن بمستوی یعجز الشعراء عن معارضتها ولکن المرزا کان مبتلیً بداء التعلّی ولذا لما ظهر بها فی الساحة الأدبیة وعرضها علی رجال الفن لم یکسب إلا الفضیحة والسخریة منهم واستهدف لطعن شدید من تلقاء النقدة وذوی المعرفة بعروض الشعر وقوافیه ، أود فی هذا المقام أن أورد بعض الأبیات من هذه القصیدة التی حسبها معجزة علی تنبئه وهی تتحدث عن مناظرة علمیة کانت بین أحد أتباعه وبین الشیخ الجلیل ثناء الله أمرتسری الذی تعقَّبَ القادیانیین طول حیاته وخاض معهم مناظرات کثیرة وألف الکتب فی نقض دعاویهم الکاذبة والرد علی ترهاتهم وقد بلغ إلی عقر دار القادیانی لکنه أبی أن یبرز له فقال المرزا متحدثا عن المناظرة :

فکان ثناء الله مقبول قومه ومنا تَصَدَّی للتخاصُم سَرْوَرُ

فشقَّ علی صحبی طریق إیراده وقد ظن أن الحق یخفی و یستر

فصار یعد للرماح درية ویعلمها أحمد علی المدبر

وقام ثناء الله فی القوم واعظا فصار بِوَعْظِ الغول قوما تَنَمَّرُوا

فأفردتُ إفراد الحسین بکربلاء وفی الحَیِّ صِرْنا مثل مَنْ کان یقبر (۵)

وما أن ذاعت هذه القصیدة وتحدی المرزا بإتیان مثلها حتی نهض له الکثیر من علماء المنطقة وشعرائها مثل القاضی ظفر الدین وکان أستاذا بجامعة فنجاب فنظم فی نقض قصیدته قصیدة أشار إلیها الشیخ ثناء الله فی کتابه (إلهاماتِ مرزا) ومنهم أیضا الشیخ غنیمت حسین

المونگیری الذی قرض أطول قصیدة عربیة فی هذا الباب حیث تقع فی ۲۲۵ بیتا ودرجها فی کتابه (إبطال إعجازِ مرزا) الذی ألفه فی نقد قصیدة المرزا فکشف عن الأخطاء اللغویة و العروضیة التی تتواجد فیها ، طبع هذا الکتاب وتوجد منه نسخة بمکتبة مجلس ختم النبوة بدینة ملتان.

نماذج من قصیدة الشیخ فیض الحسن جهلمی ، وهو من أجلة العلماء وقد أظهر براعته الأدبیة وأثبت مهارته اللغویة والفنیة فی قصیدته هذه وعرضها بنفسه علی المرزا الکذوب أثناء زیارته لمدینة سیالکوت وطالبه بقرائتها فحسب ولکنه عجزولم یستطع أن یقرأ ، فها هی بعض أبیاتها :

لمالک ملکه حمد و سلام علی مرسوله علم الکمال

ثم طرح بعض الأسئلة علیه لیختبر علمیته وهکذا المرزا کان یفعل إذ یفکر فی بعض المسائل الفلسفیة والمنطقیة

المعضلة ویطالب معارضیه حلها ، فالشیخ لما واجهه بهذه الأسئلة کأنه رماه بسلاحه فتقدم قائلا:

أما والله أسألک المسائل اسل هلم سل أولی السؤال

ألا هل صار دعواک الرسالة کموحی الله معصوم المحال

أم اصطاد معادوک هواء أو لهم الهوی سوء الملال

وهل کلم الرسول أصول علم کمسطور الإله علی الأصال

وهل کلم المهدی مدلولها ما مدی العلماء ملمع الدلال

أم أسرار وملکه معمی وما اطلع العوام علی المثال (٦)

وغیر ذلک

الأستاذ البروفیسر أصغر علی روحی :

ومن القصائد المعارضة لحرکة المتنبئ ما نظمه الأستاذ أصغر علی روحی وکان المرزا من ألد أعدائه ویهدی إلیه هدایا من سبه و شتمه وبارزه مصرحا باسمه فی قصیدته الإعجازیة فبرز شاعرنا وقرض أطول قصیدة فی ذخیرة مادته الشعریة وهی تقع فی مائة وسبعة أبیات (٧) یقول فی مطلعها :

تسير إلى رَبع الحبيب الزوامل فيا لَكَ شوقاً هَيَّجَتْهُ المنازلُ

بعد عدة أبيات فی التشبيب يتذكر الشاعر سعادة الأيام السالفة إذ كانت القلوب مليئة بحلاوة الإيمان وكان الإخلاص يغمرها والمسلمون لا يخلط عقيدتهم كريه ولا يشوبها ردىء :

وكانت ربوع الدين مُخْضَلَّةَ الثَّرىٰ فهذی مغانيه وهذی المواحلُ

لما انتهی خير القرون ولحق الضعف عقيدة المسلمين وقَلَّتْ غيرتهم الإيمانية :

هبطنا و ربِّ البيت حتی انتهی بنا صغارٌ إلی ما لا يجاوز سافلُ

ترى خيلَ أقوم تسابق غاية ولكن جِيَاد المسلمين جَوَافلُ

هكذا شجع قومه وحاول تنبه غافليه وتنشيط كُسالاه وإصحاء سكاراه وخاصة أهل العلم لأنهم تناسوا فريضتهم وتركوا فرصة لأعداء الإسلام يستغلونها :

لقد نام أهل العلم طُرا عن التقی فها قد نَسُوا بَطْشَ الغيور يُعَاجلُ

ثم يأخذه طائر خياله إلی ذكر الرسول عليه السلام الذی بذكره ترتفع الهمم ويقارن بين ذاته المقدسة وبين هذا المتنبئ الكذوب الذی يتخلی من كل فضيلة ويتحلی بكل رذيلة وهنا يشدد أسلوبه ويعنف كلامه ناقدا المرزا نقدا علميا مزودا بمعايير مسلمة ناقضا دعاويه السخيفة وتعلياته الباطلة ويصف أسلوبه الشعری بالتفاهة إذ أنه يخلو من سلاسة الألفاظ وعمق الفكر :

يُبَارِی فُحولَ الجاهلية فاخرا بمسروقة السَفساف والأمر هائلُ

يفاخرهم فی الشعر جهلاً وشعره علی كل طبع مستنير يُثاقلُ

وليس قرض الشعر ما يعتز به نبیٌّ :

فسبحانه قد قال ما ينبغی له (٨) فهل حجةٌ يبغی له متغافلُ

ونراه فيما بعد يلتفت من صيغة الغائب إلی الحاضر ليكون أرعب للمرزا :

تنبأتَ يا مغرور بعد محمد فَمَهُ يا مسيلمة الكذوب المحاولُ

أنت لنا المهدی من صُلبِ جنگيز (٩) ومهديُّنا من آلِ زهراء آجلُ

فلو كُنتَ فی أيام دولة مسلم لَأُنسِيتَ كالماضی وذِكْرُك خاملُ

منهم الشيخ محی الدين عبد الرحمن ، وكان معاصرا للمرزا وهو أول من أفتی بكفره (١٠) نقل

الشيخ القاضي سليمان منصور فوری مؤلف (رحمة للعالمين) فی آخر کتابه (غاية المرام) وفيه رد على أكاذيب المرزا ، عدة أبيات شعرية للشيخ محی الدين فی حماية الإسلام والرد على المتنبئ ژ ولكم بعضها :

نجاهد مَنْ يخالفنا بِدِيْنٍ جديدٍ فيه تَبَعُ الكافرينا
فصار مصدقا نقل النصارى فأيَّدَ دِيْنَهم كُفراً مُبِيْناً
وقال بأن مذهبه قريبٌ لِدِين الكفر دون المؤمنينا
فهذا الدين دين القاديانی غدا ضِداً لِدِين المسلمينا
فنسأل ربنا نصرا عزيزا لِدِين الله دِين المرسلينا
فنحن نَدِينُ دين الله حقاً ونبغض مَنْ يُحِبُّ المُلحِدِيْنا

هذا بعض ما يتعلق بالقصائد المستقلة التی وضعت فی هذا الباب ولا يخفی على من يطالع فی الشعر العربی الناتج من تلقاء أبناء شبه قارة باكستان والهند أنه يحتوی على أشعار تتحدث عن ختم النبوة وهی متناثرة فی قصائد الأغراض الشعرية الأخرى ، أختم هذا المقال مشيرا إلى أن الفتنة القاديانية فقدت شوكتها فی باكستان وانكسرت أسنانها وضلت ممرها بفضل الجهود التی بذلها العلماء حيث قعدوا لها كل مرصد وتعقبوا أهلها فی غور الأرض ونجدها وقرت عيون المسلمين أخيرا بقبول البارليمان الباكستانی فی سنة ۱۹۷۴ م القرار الذی عرض عليه ينص بكفر أتباع المرزا غلام القاديانی رسمياً ودستوراً وبذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت واضطر قادتهم إلى مغادرة باكستان واتخاذ بريطانيا مستقرا لأنفسهم و مثوى.

الهوامش

(١) اقرأ القصيدة في مجلة الرشيد : العدد الخاص بالمدائح النبوية ص: ٢٣٠ ٢٤٤

(٢) مالک هذا استعمل أثناء الكلام كلمة [صاحبكم] مشيرا إلى النبي ﷺ وفيه قال شاعر القصيدة :

وقد أخذوا في مالک بن نويرة بصاحبكم للمصطفى كادانى

(٣) اقرأ الأبيات في مجلة الرشيد ، ص : ٣٦١

(٤) تعني صنعة الإهمال استخدام حروف غير منقوطة

(٥) اقرأ الأبيات في (فتنهِ قاديانيت اور مولانا ثناء الله) ل: صفي الرحمن أعظمي

(٦) نشرت هذه القصيدة في آخر كتاب (تاريخ محاسبهِ قاديانيت) : خالد شبير أحمد

(٧) اقرأ القصيدة في ديوان الشاعر الذي طبع في مجلة المجمع العربي الباكستاني

(٨) إشارة إلى قوله تعالى : وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ [يٰس : ٦٩]

(٩) ادعى المرزا أنه من نسل جنكيز خان مع ادعائه أنه المهدي الموعود والحديث ينص على أن المهدي سيكون من سلالة بني هاشم وأن اسمه يواطئ اسم النبي ﷺ واسم أبيه يواطئ اسم أبي نبينا عليه السلام

(١٠) ألف رسالة في تكفير المرزا وأتباعه وطبعت في سنة ١٨٩٠ م فورا بعد إعلان النبوة من جانب المرزا

المراجع

(١) مجلة الرشيد، العدد الخاص بالمدائح النبوية ، الصادر من المكتبة الرشيدية بلاهور سنة ١٤١١ هجرية

(٢) تاريخ محاسبه قاديانيت ، خالد شبير احمد ، كاروان ادب ملتان ١٩٨٧

(٣) مجلة المجمع العربي الباكستاني ، بتحقيق الدكتور رانا ذو الفقار على ل كلية اللغة العربية لجامعة فنجاب ، سنة ١٩٩٣ م

(٤) غاية المرام (بالأردية) للقاضي محمد سليمان منصور فوري ، مطبعة كاشي رام بلاهور سنة ١٣٤٣